

كل شرور أئد كل نفس منه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت أرواينا حتى في ديننا ومنه فقد احساننا ومنه كل ما نحن فيه ، أو نتوقع أنما منواقه . فهذه فطرنا لا نقص فيها عن غيرنا وعدونا كثير وبلا دنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادنا غنية وشرعنا قويم ونحارنا قديم فلا يتقصنا عن الأمم الحية غير القوة المالية التي أصبحت لا تحصل إلا بالعلوم والفنون المالية وهذه لا تحصل إلا بالمال الطائل فوقتنا في مشكل الدور وعسى أن نهتدي لفكر سيدنا والا فيحقيق بنا ما وس فناء الضيف في القوى وفناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب قهر الأمة ان شريعتنا مبنية على ان في أموال الاغنياء حقا معلوما للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تحجب الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء ونحابي بها للمسرفين والسفهاء . (الاجتماع بية)

باب التوسل بالتعليم

﴿ الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في الياق » ﴾

شذرات مقطعة من جريد دار اسم . تحرير أبحر ازبون في سنة ١٨٠٠ الداخلة في سنة ١٨٠٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدت نفسي بعينها (١) ولما تلافينا كنا كأنا لم نفترق في حياتنا فان التوى لم تغير شيئا من ضروب وجدامنا ولا من عاداتنا لبقاء قابضا على ما كنا عليه من الارتباط والاتحاد وغاية ما حدث اني أراني الآن آنس مني في جميع أياامي السائمة بحسن معاشرتنا وجمال معاملتنا نعم انها لم تبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدموا هذا

الباب الثالث في تربية الغلام الياق (١) يريد زوجته أم أميل

الاعوام وكروور الايام الا ما يزيد للمرأة في القلوب حبة وفي النفوس تأثيراً فكان
روحها وملاع وجهها تكلمات وتطهرت بأدائها فروض الامومة المقدسة
كنت أوشكت ان أقف من معرفتي لولدي ومما ينبغي التنبه عليه في هذا المقام ان
لذين هم اكثر الناس اشتغالاً بالتربية لم يرزقوا أولاداً أو رزقوهم وحرموهم
رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤونها
غايهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الاداء
قلت شمري بماذا استحققت ان اكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالسعادة
ما أشدني حزنًا وتأثراً عند تفكير ولدي اياي وما أعظم زهوى وعجالي به
عند ما آخذ يده وأتزره معه في المزارع وان الدنيا انزى في عيني جديدة وهو
كان لم أرها منذ سبع سنين . ولا جرم ان الانسان لا يبصر وهو رهين السجن
محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة
كان يحيل الي انه لم يخلق الا بالامس

خطر في ذهني ساعة خاطر المود الى فرانسا ولكن الف مانع — وان شئت
فقل الف وهم — قد تحول بين المرء وبين مدينته في وطنه وما أدراك ان من هذه
الموانع ما يعتري من الألم المفض الذي لا يستطيع التعبير عنه اذا رأيت أمة عظيمة
عهدتها جرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجب ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن
ذلك ايلاً ما للقلب ولا ازهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لا أنفسهم
ولأوطانهم ان يخدموا هذه الاوطان وهم بمنزل عنها قتل هؤلاء هم فيما أرى أشد
حباً لها لأنهم سواء قربوا منها أم بعدوا عنها يحبون بتفاتها ويمتثلون بتجاهداتها
في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول اليه . جرحهم في صميم أقدسهم ما من
أمنهم من القروح وان كان يبدو من حال الامة عدم شعورها بالمالها كأن في مرور
الزمن عليها والاعتماد على استمالها من قوة التأثير ما يكفي لاتدماها جميعاً . مثل
هؤلاء المتطوعين بالاغتراب والفي يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول
مجادل امامهم ان ينقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتيسخ لدم
في عروقهم . ذلك ان هذه القطعة من الارض التي تنازلوا عن سكنها مختارين قد تغفل
حراً في أحشائهم وأخذت بجمع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في اعزاز شأن المعنى الذي
قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم اياه مهيناً ذليلاً .

كأنني أسألك يقول : لماذا اتخذت هذه المادة وهي تهذيب أفكارك ومذاقك
كل يوم بحسب العادة والاتفاق فاجبه ان هذا مطوي ايام مدينتي في السجن اشهره
للناس لأنني لآلم يكن لي فيه أنيس أمارحه الحديث كنت اكتب كأنني أرسل نفسي . اه
الشذرة الثانية

(تعليم السميات قبل الوسماء)

لم تخاف طريقتها في تربية « أميل » أملا من آمالي فلتبق على ما هي بيده من
تهذيبه وشقيقه بما تقدمه له من الأسى وبما توجه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا
من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأيتنا من القيد أن تقدم العمل يتنا لان التعليم — ان
لم اكن غالياً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالياً وأما التربية فلها من أعمال
الوالدة وان أردت ان تعلم ابنك من قيام كل منا بعمله فاقول :

لما يدرس « أميل » شيئاً درساً منظماً فهو دائماً لقف دروسه الاولى في علم
التاريخ الطبيعي متفرقة على نحو من الاتفاق وذلك بحسب ما كان مجده كل يوم على
شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم اني أمكنه من النظر بالمظار العظيم
(الميكروسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندما يحرك أجزاءه بنفسه فيكبره
بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر وأريه بالمركب (التليكوب) وهو آلة
أرصد بها النجوم اىلا عجائب المخلوقات غير المتناهية في الكبر . وقد ألتنا الله من
الزجاج بالماء المالح ووضعنا فيه حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسمها كما وكنا نجد
ماء كل ثمانية أيام ومنه نلقى « أميل » كل ما عرفة فيها أرى من علم حياة الحيوانات
التي تسبح في شرف البحر . وفي بعض الأحيان أكرر بمشاهدة بعض شجيرات
سهلة جداً في الكياه والماية زرع على جبهة إلسي حزين الدارين يراه بعض
الأدراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . ورأى يوماً أضغ . مقيس للحرارة
والهواء ومع كونها لم تكن من الاتفاق في شيء بدالي منه انه ادرك استساها في الجملة
لأنني رأيت يريد محاكاتها . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لا بد ان أكون أنا و « أميل » تابعين في التعليم لمذهب أرسطاليس لان اغاب
درسنا نحصل في وقت التمره فاني أدع لأمور الكون وحوادثه تنبه هذه غير متعرض
لها بشرح ولا تفسير الا ان يكون اجابة مما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون
الشرح واضحاً والبيان واقعياً . وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصغائه الي هي

تبع سياسة افكاره عند محادثته وان كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الاطفال لينامون لهم في البيان ويغرمون في الشرح كالو كانوا في حاجة الى ان يثبتوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . انا لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني اتعلم معه فموضوعاً عن كوني اعلم طريقي في النظر اجهد في معرفة طريقته وتميزها وما لا يميل الى معرفته بحال اجهله مثله او اتجاهله . نعم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تبلي قدر الاستاذ في نظر تلميذه وانه لا بد في اتباعها من ثقل العقل عن التفرغ وتنازله عن بعض شهواته ولكن ما هو متبع الآن من نقش صيغ المعلوم وقوانينها وقضاياها في اذهان الاطفال ليس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

ما كنه البحث عند الطفل هي كغيرها من المللكت نمو بالاعتماد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وانما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين فيه « اميل » والتفاته بأن أريه ما لا يراه في الاشياء لأول نظر . اليها غير انه في هذه الحلة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطرياً . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثار من السؤال قرأني أن التمجيل لهم بالجواب قبل السؤال وتجاوز حدود ما يطلبون معرفته عما تحبوه نأر هذا الاستعداد المبارك لان ذلك يفضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا انفسهم مؤنة سآمة الدرس وطولها . اهـ

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« النبة الثانية »

تقدم في الجزء الماضي ملخص ما دار بين مفتي الديار المصرية ونظر الدارفي من المناقشة والمراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كإثر قوانين الحكومة ونذكر في هذا الجزء ملخص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم نقدر القانون فقول (الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سمادة ناظر المعارف انما هي كافية في التفهيرات الادارية كتحديد اوقات الدروس وحصر المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في النبة الأولى أننا كنا نضع كلمة « الضمانات » و « الضمانات » بين علامات مميزة كما هنا اشارة الى معناها الذي يخالف ما استعملت فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان قوانين التعليم في نظارته خسة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعاقبة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لا يصح تغيير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلاً لذلك يجب الضمان . والتعليم باللغة الأجنبية . مناه نقل أشخاص إلى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم إلى الأمة فيسهل على الطالب معه أن يتفهم به بعلمه وبما يحسن به . من كتب التعليم . وقد نشأ عن التعليم باللغة الأجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الأكفاء في المدارس الحرة ولم تقم من ذلك « ضمانات » ناظر المصروف . فالتقوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين إذا لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) أن الطرق المتبعة في التعليم ما وضعت إلا بعد تجارب شتى بمعنى أن هذا العلم الذي تبين أن تعليمه بالعربية أنفع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس إذا للدار في ذلك على الكتب والمدرسين والأقرب للترقي . وبما يتبعه من « الضمانات » وغيرها يتضح أن وضع « البروجرامات » يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها اهـ كما كتب (الشيخ) ذلك براد به الأسهل في التعليم والذي يريد هو نفع الأمة وقد كان منذ عشر سنين مؤلف كتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم فيأتي بها التلميذ فيستفيد منها أبوه وأمه ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الأجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس المالية باللغة الأجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصاً . وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها إذ لا يفهم الكتاب إلا من كانت عنده مبادئ العلوم وعند ما رأى أعضاء الجمعية أن الناظر يمد كلامه ويحتج « بضمانات » كما التفت فبطبيعة برجوب الإصلاح بمجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بك عند ذلك إن أحسن ضمان هو إرسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر الرئيس بأخذ آراءه « فقرر بأغلب الآراء » طلب ذلك من الحكومة . ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير ناظر المصروف ؟ إن كان فله من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وإن كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي وزيد أيضاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما تفقت عليه الأمم الأوروبية كلها وفي مقدمتهم الإنكليز . ذلك أن التعليم الابتدائي في أوروبا لا يكون إلا بلغة البلاد لأن حياة الأمة بانها

وتعلم لغة أخرى لأجل المزيد في العلم كعلم الانكليزية الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظار مدارس معارفنا ومفتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساقفتها في علم التربية والتعليم ؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم اللطيمات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف تنكب الطريق السهل ونسير في الخزوف الوعرة ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل والتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم قلنا « أسهل » كما قال الناظر لأن الأسهلية لاشبه عليها الا اذا فسرت بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل اتى أسهل بمحو لغة أمي واستبدال لغة أخرى بها لمنفعة من المنافع وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهلاك الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الاكثريين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما فعلته الجمعية من ترك المناقشة بالمكثرة والاصرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا يعرض قوايده على مجلس الشورى والجزم بطالب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال ان يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها يذكر بالنسبة الى سائر الأمم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعات البيوت ورتقي أفرادها ؟ اليس يحدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بأنفسهم مما يجمل الاصطلاحات العلمية مأثورة في البيوت لكثرة طروقها للمسمع ؟ اليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون المعيشة بعدم اتمام تعليمهم يتفهمون بالكتب المؤلفة اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانما نسود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نسردها ما يظهر لنا منها بالاحتمار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتعويده على الفصاحة في النطق والاستعانة على الكتابة والحطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة المنظمة لكمال من يفهمه . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً .

(٢) كون تعليم الدين والتهديب في أثناء سنين فقط مع أنه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهديب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاطئاً في حياته وإن تعلم جميع الفنون الأخرى . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهديب معاً ساعة واحدة في الأسبوع مع أن اللغة الأجنبية التي تعلم من السنة الأولى الابتدائية إلى آخر يوم من أيام التعليم الدالي لها سبع ساعات في الأسبوع من السنتين الأولىين ، فالحاصلات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهديب ٣٦ ساعة في السنة و ٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتال منها أيام الأعياد والمواسم ما تقتال . فائدة نحو ثلاثة أيام وهي لا تكفي لتعليم الأكل . فهل تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما أوجبه على عباده من أصول الإيمان وتنفيذ الأخلاق وكيفية العبادات مع التهديب المدني الديوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا أكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقى انتلامه في الامتحان المعبر عنها بالتميز فلو فرضنا أن تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة أحكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فإن هذه المعرفة لا ترفعه عنه درجة واحدة فإن زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الأفرنجي مثلاً فإنه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الإمام الديني الجليل . ومن لاحظ أن انتلامه لا يجتهدون إلا لأجل السبق في الامتحان وعلم أن اثنين لا يجازان فيه فليسبق لأنه لا درجة له علم أن النظارة تستند أعمال اثنين أو جاهله مرتبه ومكانه وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يتدأ بها في تعليم الدين تعلو على عقول المبتدئين وهي كافي الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الإنسان إلى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على أنواع العبادات بل هو مشتمل على ما يلزم الإنسان من المعاملات وغيرها ويرشده إلى طريق المجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز — الحكمة في إرسال الرسل — ما يجب في حقهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز —

نبيه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه .

ولاشك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها قص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فعلا فهل يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت الممين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا ما لا يستطيع أن يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخطي فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالمقائد الدينية فهناك مسائل أخرى نجب معرفتها وليس بمد هذه السنة تعليم المقائد وهذا نقص ضار متقد ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه المقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى انفاية المذكورة في قانون التعليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك النفاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أوجاههم فقول ان المدار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهل عظيم ونقص محسوس ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الحلال والحرام . . . لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى الغاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم العبادة غير كاف وهذه أنواع من النقص والحلل جعلناها واحدة لانه تقدم في قسم المقائد نظيرها . ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فاننا نرجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وستكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى